

الأهرام

مجلة فضلية مضمونة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990





موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

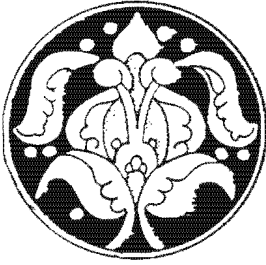


الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy



• عليّ

المثل الأعلى

في الاسلام ..

للاستاذ أديب التقي (*)

«ماذا يريد الناس مني أن أقول في رجل أخفت أعداؤه فضائله حسداً ، وكتمتها أوليائه خوفاً وحذراً فظهر من بين ذين ما ملأ الخافقين !»
هذا ما أجاب به العلامة الزمخشري قبل ثمانية قرون حينما سئل عن علي ابن أبي طالب .
وقد حاولت كثيراً أن أجيب سائلي عن «عليّ» بخير من هذا الجواب فلم أفعل !
إنّ علياً هو المثل الأعلى للإسلام ، المثل الأعلى الذي أراد مؤسس الإسلام أن يعمل للبلوغ إليه المسلمون . . هو المثال العملي المشخص لتعاليم محمد بن عبد الله ، هو الصورة الحسيّة للأوصاف المجردة التي أرادها الإسلام للمسلم الكامل ، المسلم الحر الحفي ، المسلم الحقيقي . .
إنّ علياً جامع الفضائل التي لو تمثلت بشراً سوياً لما عدته . . وكما صور الإغريق القدماء الجمال الكامل ممثلاً في «فينوس» كذلك صوّرت القدرة الفاطرة الرجولة الكاملة والفضيلة والإنسانية ممثلةً في «علي» ، ظاهرة فيه اتم الظهور ومتجلية أحسن التجلي .
إنك لا تجد في «فينوس» غير الجمال الخالص القائم في الانوثة الذي لا سبيل إلى تعييبه وتزييفه ، وكذلك لا تجد في «علي» غير الكمالات البشرية المعرّاة عن النقائص والشوائب والعيوب ، القائمة على أسس الفضيلة العالية للأخلاق ! .
«علي» جوهرة صنعها الخالق وصاغها محمد فازدان بها عقد العروبة والاسلام ، واستضاءت بلالائها المشع الأجيال والأحقاب . مثل أعلى في كل ما هو سامٍ بعيد المنال :

علم ، شجاعة ، كرم ، زهد ، ورع ، حكمة ، أخلاق ، فضيلة ، عمل ، جهاد ، بناء ، إنشاء ، تضحية ، إنسانية كاملة حقيقية ! .
لسنا بصدد إيراد الشواهد وسرد البراهين . إن كتب السير والتواريخ الموثوقة ، والمأثورات الصحيحة كفتنا ذلك :

- ١ - كان السابق إلى الإسلام ، وهو غلام يافع .
 - ٢ - حمى محمداً والإسلام في أشد المواقف خطراً على محمد والإسلام .
 - ٣ - كانت ضربته يوم الخندق باعثة الإسلام مرة ثانية .
 - ٤ - كان رباني أمة محمد وفيلسوف الإسلام الأعظم .
 - ٥ - كان أول من فتح باب التفكير في الإسلام .
- هو الذي ناقش قضايا الدين وأمور الاعتقاد على نور العقل ، وهو الذي أعلن ان الإيمان الكامل الصحيح لا يكون إلا عن طريق العقل ، ولذلك كان إمام المتكلمين وشيخ جميع الفرق المفكرة المستنيرة بضياء العقل في المسلمين . وهو القائل : «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً ! » ، والقائل وقد أشار إلى صدره : «ها إن هاهنا لعلياً جماً لو أصبت له حَمَلَةٌ ! » ، والقائل : «بل اندججت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة ..»

لم يكن تعظيمي علياً للنصوص الدينية الواردة فيه ولأنني مسلم فحسب .. وإنما تعظيمي له لأنه ذو صفات شخصية عالية ومواهب منقطعة النظير .. إنه مثال الكمال البشري ! هو الانسان الكامل بجميع معاني الكمال السامية .

إن جميع تعاليم محمد ترمي إلى انتشال الانسان من النقائص ، تريد أن تجعل من الانسان الناقص ، الانسان البهيمي ، إنساناً كاملاً .. وجميع مساعي محمد كانت منصرفة إلى هذا . وليس القرآن وأحاديث الرسول سوى مجموعتي نصوص تُصعد الانسان مراقي هذا الكمال الانساني . وقد حلق «علي» إلى ذروة من هذا الكمال لم يستطع لحاقه فيها لاحق ؛ ولولم يرد عن الرسول أي حديث أو إشارة في علي ، ولو سكنت القرآن عن أي تلميح إلى فضله ؛ لكان لي من صفاته العالية وأخبار عبقريته السامية ما يكفي لحمل على تعظيمه ورفعني إياه فوق كل رفيع . لقد ضحى وفادى من أجل مبادئه العالية التي تلقنها من محمد : ضحى بماله ونفسه وروحه .. ضحى بأهله وعشيرته وولده ودينه ! .

هو لم يكن يطلب الملك الذي طلبه الاسكندر وكسرى وقيصرو لم يطمح إلى التاج الذي طمح اليه «سزار» و«بونابرت» و«معاوية» و«ابو جعفر» .. لقد فضل على هذا الملك شمع

نعله يوم قال لابن عمه عبد الله بن العباس : «إن هذه النعل لأحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً . . » ، ولو شاء أن يكون صاحب تاج ورب صولجان وعرش لما كان له من مواهبه وصفاته ما يحجز بينه وبين ذلك .

إنه لم يرد أن يخضع له الناس ويهابوه جباراً من الجبارين وطاغوتاً من الطواغيت . . إنما كان يريد أن يدين الناس جميعاً بدين الفضيلة ويعظموا من شأنها بقدر ما يحتقرون من شأن الرذيلة والنقيصة .

يريد أن يمضي بالإنسان إلى طرق الكمال وسبل الترفع عن البهيمية ، خطة محمد في قرآنه ، وسيرته وأعماله . . (أنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

لقد أخطأ هؤلاء العلماء والكتاب الذين يدافعون عن «علي» ليجعلوا منه رجلاً سياسياً بالمعنى المفهوم من السياسة والسؤاس . لم يكن «علي» سياسياً بهذا المعنى ! هو رجل الأخلاق والفضيلة . . وهذان لا صلة لهما بالسياسة . . السياسة لا تتعرف على شيء اسمه فضيلة وأخلاق . . هي تتابع سيرها في مجرى يوصلها إلى الغرض والغاية سواء اعوج أم استقام ، انحرف عن الفضيلة أو جارهاها ، ماشى الحق والعدل أو تجانف عنها !

ولو كان هدف «علي» السيطرة والسلطان والحكم والقسر ، كما يعتمد إلى ذلك بناء العروش ومؤسسو الممالك لما كان ينقصه موهبة كمواهب هؤلاء ولا عقل كعقولهم أو تدبير كتدبيرهم . . لكن اختلفت الغاية فاختلفت الوسيلة !

إن هذه المسالك السياسية التي يعدها غواتها مزايا ومناقب قاصرة عن أن تقود البشر إلى الفضيلة والكمال . . وإنما قادت إلى الخراب والدمار وذوبان بعضه في مطامع بعض . . وهي عاجزة عن أن تضمن للناس الراحة والهناء والسعادة ! وقد رأينا باعيننا ، ونحن أبناء لهذا القرن ، ما جرته على البشر والانسانية سياسات الدول الملتوية وما تتبطنه من دسائس وخدع وسفك دماء أبرياء ، وتسلب على ضعفاء وغصب حقوق . . وإفناء شعب لمصلحة شعب وقتل نفس لشرة نفس !

والإسلام دين إنساني لم يحجى لتشجيع هذه الوصمات الانسانية وترويجها باسم السياسة الزائفة ، ولم يجر إظهار السلاح إلا للدفاع عن بيضة الاسلام وإعلاء كلمة الله والحق والعدل التي جاء بها وحض عليها ، وذلك للقضاء على الوثنية في العالم وإخلال فكرة التوحيد الحققة محل فكرة الشرك الباطلة ، وقرار السلم العام على ذلك الأساس . والوثنية عار أي عار على الانسانية والعقول البشرية ، وعثرة آية عثرة في طريق التكامل البشري ! .

لذلك لا يصح ان نتطلب من إمام كعلي أن يكون سياسياً كلويد جورج وبوانكاره وبسارك ، أوداهية كعمرو بن العاص ومعاوية والمنصور ، والتنظير ما بينه وبين الاشخاص

الآخرين من الوجهة تنظير مغلوط مجروح لانه فوق هؤلاء في المبدأ والغاية والهدف . .
لقد قال : «والله ما أَسْتَغْفَلُ بالمكنة ولا أَسْتَغْمُرُ بالشديدة !» فما هو بالغافل المستضعف
كما يريد أن يجعله مجردة من الدهاء ، ولا هو بالأفن الرأي الواهي الإرادة فيسَفَّ في مجال
السياسة ويكيويه جواد الذكاء والمعرفة ونفاذ النظر في ميادين القيادة والرياسة . . ولكنه شاء أمراً
وشاء ذور النفس الأمارة غيره . . أرادهم على الفضيلة والانسانية المحضنة وأرادوه على الرذيلة
التي يأبأها والأغراض والاهواء التي لا يرضاها فكان غير سياسي في نظرهم وإمعة غير داه في
معتقدهم ! .

وبعد ؛ «فماذا أقول في رجل أخفت أعداؤه فضائله حسداً ، وكتمتها أولياؤه خوفاً
وحذراً ، فظهر من بين ذين ماملاً الخافقين ! .»

دمشق



الامام علي بريشة جبران

في عقيدتي ان ابن ابي طالب كان اول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها وهو اول
عربي تناولت شفته صدى اغانيها فرددها على مسمع قوم لم يسمعو مثلها من ذي قبل فتاهوا بين
مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم فمن اعجب بها كان اعجابه موثقاً بالفطرة ومن خاصمه كان من
أبناء الجاهلية .

مات علي بن ابي طالب شهيد عظمتة . مات والصلاة بين شفتيه . مات وفي قلبه الشوق
الى ربه ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس اناس يدركون
الفارق بين الجواهر والحصى . مات قبل ان يبلغ العالم رسالته كاملة وافية . غير انني اتمثله مبتسماً
قبل ان يغمض عينيه عن هذه الارض . مات شأن جميع الانبياء الباصرين الذين يأتون الى بلد
ليس ببلدهم والى قوم ليس بقومهم في زمن ليس بزمانهم ، ولكن لربك شأننا في ذلك وهو
أعلم .

جبران خليل جبران

